

طه حسين

- « عقب حفلة تكريم الاستاذ العقاد وتصريح »
 « الدكتور طه حسين باعجاب به بشعره ثارت »
 « ضجة في بعض الصحف اثارها خصوم العقاد وحملوا »
 « على الدكتور طه. وقد كتبت هذا الفصل رداعلي »
 « احد زعماء هذه الثورة ونشرته بصحيفة الاهرام »

.. كفت قد عزمت منذ عهد قريب على ان اتحدث عن
 علمين من اعلامنا ، احتلا في تقديري المكان الاسمي ، وهما العقاد وطه
 ولعلني اردت من ذلك ان افى بعض ديني لهما . الم يحسنا الى في كثير
 من الاوقات فبمـددا ما كان يخالجنى من يأس وأسف على نهضتنا
 الادبية الحديثة ؟ الم يوفقا في كثير من الاحيان الى ان يجعلاني انسى
 نفسي وآلامها حين تلاوتى ما ديجبه براعها ؟
 وفيما انا اقرأ في الصحف نبأ الانتهاء من ترجمة كتاب «الايام»
 الى الفرنسية اذ بي اقرأ في احداها كلمة « لاديب » لم يجرؤ على
 ذكر اسمه بجني فيها علي الادب واسرف في التبجني حتى عاب الدكتور
 طه حسين تقويمه للعقاد امبرا على الشراء ثم تهكم واسرف في التهكم

فلقب الدكتور بزعيم الادب العربي واردف ذلك باستغفار الله ؟
 لم الاستغفار يا صاحبي ؟ اهنالك شك في زعامة الرجل للادب ؟ اللهم
 ان كان ثمت شك فلا يكون الا عندك ! ولا تكون عندئذ الامتعاملا
 او جاهلا ! فاذا كنت الاول فلا ضير على الادب ورجاله من
 تهمالك . وان كنت الثاني فاحمد الله فالجهل خير من النبوءة . وعلى
 ان احذثك عن الرجل لتبديل جهلك ... علما .

اتحدث معك اولا عن كتاب « الايام » وأرجو ان تقرأه
 وتقرأ معه « لامارتين » في « رفائيله » و « جوتيه » في « آلامه »
 وانا تول فرانس في « احلامه » ثم قل بربك اهنالك فارق بين « كاتبنا »
 وبين شاعر فرنسا لامارتين في التصوير ام هنالك تفوق من جوتيه
 عليه في وصف الشعور ثم الاترى معى انه قد وقف جنبا الى جنب
 مع اناتول فرانس في دقة التعبير وقوة الملاحظة وان حظ كتابه من
 الشيوخ والانتشار لا يقل عن حظ كتب هؤلاء ؟ ثم اخبرني لم
 ترجم الانجليز ذلك الكتب الي لغتهم اترام خاطئين ؟ وان في
 المكتبة العربية ما هو جدير بالترجمة واحق بها من « الايام » لم نقل
 هذا الكتاب للصينية والعبرية والروسية والالمانية واخيرا للفرنسية
 ألم يترجم هذه اللغات على اعتبار انه الكتاب المصري الذي يصلح
 لان يكون صورة للادب العربي الحديث انى استطيع ان اصرح لك
 ان (الايام) لقي من العناية عند الامم المختلفة والهجيات المتباينة

مثل ما لقي عندنا ان لم يزد ، وان تأملت لشيء في ناحيتنا الادبية فاني اتألم لان هذا الكتاب لم يفتن اليه اصحاب المسرح والسينما كأنموذج للمصاممية الجبارة وآية لتوقد الذهن . يخيل الي ان اسم الغرب ستفتن الي هذه (القصة) التي تصور الحياة المصرية أدق تصوير وتمثل الريف المصري اروع تمثيل وتخرجها قبل ان نخرجها نحن وهذا غاية التقصير لماذا لا يمثل هذا الكتاب في السينما وهو الكتاب الوحيد الذي استطاع ان يعطى فكرة قوية عن القرية المصرية ؛ والكتاب المصري ، والمزارع والفتش المصريين ، ثم هو فوق ذلك يضرب المثل للشباب في الجد والاجتهاد ويقوى في نفوسهم الامل

الم يقل لهم ان صاحب هذا المجد كان فتي لا ينعم بنعمة البصر ولكنه باجتهاده فاق المبصرين ؛ كم اتمنى لهذا الكتاب ان يمثل على المسرح وان يدرس في المدارس وان ينال حظا من العناية لا يقل عن حظ امثاله من كتب الغرب التي تساوى معها في جودة الاسلوب وصدق التعبير ، ومقارنة التصوير

ندع الايام لتتحدث عن « الصيف » ومترى أن صاحبنا في أيامه هو في « صيفه » الا انه في الاول يصور لك القرية المصرية وفي الثاني يحدثك عن المصايف الاوربية ويحدثك فيه ايضا باسمها عن الحنان الابوي والحب الزوجي المتبادل وبينما هو غارق في تلك التأملات الجميلة والاصناف البديعة اذ به يبلغه نبأ نهي « ثروت »

فاذا به يرثيه نثرا يجملك تنسى الخنساء واخاها بل يرغمك على القول
 انه تساوى في الروعة مع صاحب « علو في الحياة وفي المات » انظر
 في هذا الثراء للوفاء وكيف يتجسم وفي المصيبة وكيف تنزل بالصاحب
 في صاحبه فتخرجه عن وعيه فاذا به لا يرثيه وانما يرثى نفسه و يطلب
 لها العزاء فاذا ضمنت الصيف للايام فكأنك الممت للساما كاملا
 بالريف المصرى والمصيف الاوربى

ودعني اقف معك قليلا عن الحديث عن الايام والصيف
 لمتحدث عن « الادب الجاهلى » « وقادة الفكر » واجبني هل قبل
 كتابه الاول ارتاح قارىء او باحث لما يراه من التخبط فى الكتابة
 عن الادب الجاهلى وقل لى هل استطاع قارىء ان يكون لنفسه فكرة
 متينة عن هذا الادب وان يطمنن لما يسمع قبل ان يقرأ رأى
 طسه فيه

واقرا قادة الفكر تعلم كيف درس صاحبنا التاريخ اليونانى
 وكيف حذق الفلسفة اليونانية ودرسها واخذ يعرض ابطالها على القارىء
 بأسلوب قصصى جذاب ، هذا الكتاب الذى أنار الطريق للقراء وعلمهم
 كيف انتقلت الفلسفة من سقراط لافلاطون ، ومن هذا لارسطو ، ثم
 طرق كل واحد منهم فيها وحظه منها ثم هو يرشدكم بعد ذلك كيف
 انتقلت الفلسفة من رؤوس الفلاسفة الى صدور القادة والفاطمين
 فاذا بيوليوس يتمم ما بدأ به الاسكندر وهكذا حتى لا يدع القارىء

الا وهو مليء باحوال هذا العالم القديم واراها فلاسفته ومنها هجهم كل
 هذا في سفر صغير، و باسلوب سهل يحبه القراء والنسب خاصة فيقولون
 عليه ويعلمون ما كانوا يجهلون

وتعالى مسمى تتحدث عن كتابه « على هامش السيرة » واخبرني
 الم يحسن الرجل للمربية باخراجه هذا الكتاب النفيس ؟ استعطفك
 « بالادب » هل كان معظم شبابتنا يعلم شيئا عن السيرة أو يرضي
 ان يقرأ فيها وهو يسمع انها كتبت في مطولات لا طاقة له بقراءتها
 ولاكن هذا الشباب ما علم ان علم ان طه هالته تلك الحالة فكاتب
 عن السيرة فاذا بالشباب يقرأ واذا بالسيرة تحفظ واذا « بصاحبنا »
 « سعيد » علمنا فيها كيف نشأ « المصطفى » وفي أى الحالات كان
 العالم وقتئذ واراها كيف كانت الثورات والالام يحتاج الانسانية ولا
 يدعك تنتهي من هذا الهامش الا وقد ملك مشاعرك وبين لك
 ان في قراءة السيرة الخير كل الخير فاذا أنت تستوعب كتب السيرة
 وتدرسها . هل من شك في انه خدم الاسلام والعربية بهذا الكتاب
 الفريد كما خدم القومية المصرية بكتابه « الايام »

هل من شك في أن الرجل اظهرنا على الفلاسفة اليونانية
 وطرق تطورها

هل من شك في انه جعلنا نعلم الشيء الكثير عن الادب
 الجاهلي ورجاله

هل من شك في انه علمنا كيف نشأ التمثيل اليوناني وكيف
 كتب شعراء اليونان قصصهم وكيف مثلت في كتابه « الشعر
 التمثيلي عند اليونان »

ثم الم تقرأ كتابه « حافظ وشوقي » لتعلم ان الرجل كان
 الناقد الحري ، والمؤرخ الصادق ، على تضلع في الكتابة عن الفلسفة
 والأدب والوصف

• • • • •

حدثتك عن كتب الدكتور وقد راعينا الايجاز لأن الكتابة
 عنها بأسباب وتوفيتها حقها وابداء الرأي الكامل عنها يستلزم المجلدات
 الضخمة . وقد نورد الآن للكلام عن هذه الكتب لامن حيث
 موضوعها وقيمتها الفنية والفائدة التي عادت على اللغة العربية من
 كتابتها ، كلاً وانما لندكر تواضع كاتبها وهو يقدم الكتاب الذي يميز
 عن وضعه عشرات الادباء ثم يقول في مقدمته^(١) (اقدم اليك هذا
 السفر ولست اطمع في ان يبلغ منك مكان الرضا ، ولعل لا اجاوز
 الحق ان قلت اني قد اختلست هذا الكتاب اختلاسا) ثم يقول
 في مقدمة كتاب اخر ولعله الاول من نوعه في اللغة العربية من
 حيث الايجاز والفائدة^(٢) (انني لم اكتب هذا للعلم والعلماء) اني

(١) قادة الفكرة

(٢) على هامش السيرة

تواضع هذا ا يكتب الكتاب الجزيل الفائدة الكثير النفع ثم يقول عنه (ولست اطمع في ان يبلغ منك مكات الرضا) وما دمنا في الحديث عن تواضعه فلا يفوتنا ان نذكر كلمته الخالدة (اننى لم اقرأ للان شيئاً يرضينى ويرضى الناس) هو يقول انه لم يقرأ بعد الذى شهدناه منه وعرفنا فيه مبلغ تضامه في الآداب اليونانية والعربية والاوروبية، بل يهوى انه قرأ، وقرأ كثيراً، واغاب الظن انه يقول ذلك ليضرب المثل للادباء الذين يتسلطهم الغرور فيحرمون على انفسهم الاطلاع وقد يكون قال ذلك ليدلك على قيمه قوله (لا ينبغي للاديب ان يرضى ولا ان يطمئن فالرضا علامة الخود والاطمئنان آية القصور) وقد تراه في مواضع اخرى يتحدث حديث الرجل الواثق من نفسه يقول للانسة مي

(. . . تعالى نتعاون يا آنسة علي ان نصلح هذا الفساد ونرتفع بالثقافة الى حيث نستطيع ان نناقى الغر بين فلا نستعصى منهم)
وقد يكون طه الكاتب الاول في مصر الذى يستطيع ان يستدر عبرات القارىء اذا شاء اقرأ مقاله في الرسالة عن حديث الشهداء لترى كيف يسمو بهم وكيف يتحدث عنهم وما دمنا في الحديث عن مقالاته فلنتحدث في اخلاص الرجل لبلده وتمنياته لها وحنقه على الادباء لتقصيرهم وأظن ان اغلب مقالاته قريبة من القصص حتى اننى كثيراً ما حدثت نفسى لم لا يكتب طه (القصة) ولكن اليس كل رسالة

من رسالاته تصلح لو شاء « قصة » ؟ وها قد تحقق املنا وسكتب قصته الاولي « اديب » وانا زعيم ان طه القاص سهرغم ادباء الغرب على الاعتراف ان في مصر « قصة » وان الادب العربي تساوي مع ادبهم

ولنتحدث الآن عن طه في الصحافة لتعلم ان المقالة اليومية التي كثيرا ما عابوا فيها السرعة وقالوا ان الكاتب العربي لا يستطيع اعطاء فكرة قوية عن موضوعه . ان صح ذلك في كثير من الكتاب فهو لا يلتصق به اقرأ في الكوكب مقالات « ملك » و « فقيد » و « زائر » و « سجين » فاذا كنت قد قرأت الرسالة ووثقت من ان صاحبنا الكاتب الوصفي والمؤلف القصصي فاقراً مقالات الكوكب فستخرج من بعضها برئاء يجهلك تجزم ان الرثاء في النثر قد تكون له روعة اعظم من الرثاء في الشعر اذا كان كاتبه طه حسين فاذا كنت تقرأ « ملك » فانك واجد تأبيناً عظيماً للملك عظيم ثم تقرأ « فقيد » فتجد رثاءً مملوءاً بالاخلاص لشخصية هي رمز الاخلاص ثم تقرأ « زائر » فاذا بك امام وصف للمنية وكيف تدهام دون سابق انذار . نجد الموت يدخل الي « الدار » فيأخذ احد رجاها الافذاذ واكن المصيبة وعظمتها ، والمفجأة ووقعتها ؛ لم تحمل بين الكاتب والكتابة فهو يكتب ليؤدي رسالته وهو يكتب ليؤدي واجبه رغم تفطر قلبه ثم اقرأ « سجين » لتعلم كيف تحفظ حقوق الزمالة وكيف

على الاخلاص لهم فيسطر هذه « الدرر » القيمة
ولنتحدث الآن عن (طه) في (الوادي) فإذا كنت قد اخذت
فكرة عن كتبه وتسميته في البحث ليحقق للقارىء الفائدة وإذا كنت
قد اخذت فكرة عنه في الرسالة بخصوص الوصف والقصة وإذا
كنت قد الممت بمقالاته في الكوكب فدونك الوادي وتصفح فيه
آيات النقد الصحيح الصريح الذي دل علي تقدمنا في الاخذ
باساليب النقد الفاعمة ؛ ولم كنت اود لو تاح لي الفرصة فحضرت
دروسه لاحدثك عن طه المميد والاسستاذ ولكني اترك هذا الباب
لطالبة الجامعة فهم اولى مني بالكتابة فيه

وأمل ان يكون سيدى المستغفر قد سلم مسمى بزعامة الدكتور
طه حسين الادبية كما ارجو ان اكون وقعت في دراسة العقاد حتى
يعلم ان الاسستاذ المميد كان على حق في تنويجه للعقاد واعجابه به ..

